كلمة صاحب السيادة المطران منصور حبيقة المشرف على المحاكم الروحية المارونية

ممثلاً صاحب الغبطة البطريرك مار بشارة بطرس الراعي الكلّي الطوبى

في الندوة حول كتاب الاب ريمون جرجس الفرنسيسكاني

"عيوب الرضى الزواجي في شرع الكنيسة الكاثوليكية"

جامعة الحكمة، في ١ شباط ٢٠١٢

قام الأب ريمون جرجس الفرنسيسكاني، المولود في دمشق سنة ١٩٦٧ والدكتور في الحق القانوني من المعهد الشرقي في روما بتأليف كتابين ضخمين قانونيين الأول بعنوان " شرح أصول المحاكمات الكنسية " في ٧٥٠ صفحة ، منشورات المطبعة البولسية سنة ٢٠٠٨ ، والثاني بعنوان " عيوب الرضى الزواجي " ، في ٦٤٠ صفحة منشورات دار المشرق سنة ٢٠١١ ، أي فيما هو في اواخر العقد الثالث وبداية الرابع من عمره، وفيما كان يرأس ديراً ويخدم رعية في دمشق ويقضي في محكمتي الإستئناف الرومية الكاثوليكية في دمشق والأرمنية في حلب ، وقد بدأ طلاب الحكمة يعرفونه منذ سنة ٢٠١١ حيث يلقي محاضرات في موضوع الزواجات المختلطة، وبوسعهم ان يكتشفوا سعة علمه وصبره على الكتابة والتأليف ويقدرّوا ذلك.

ولا شك أن هذا التأليف الغزير ملفت بسبب غزارته بحد ذاتها ، وبسبب إقبال المؤلف عليه في سن مبكرة ايضاً. فمثل هذه المؤلفات الضخمة في القانون يصدرها عادة رجال إختصاص ورهبان ما رسوا اختصاصهم سنوات طويلة في الجامعات والمحاكم، وقد تجمعت عندهم خبرة طويلة وكتابات كثيرة من جهة، وأقنعتهم حالتهم الصحية وعمرهم بملازمة غرفهم أطول وقت من جهة ثانية، فوجدوا من الملائم أن يجمعوا أوراقهم بصبر ويجددوها ويضيفوا عليها ويخرجوها بشكل مطولات قانونية.

وما فعله الأب ريمون هو غير هذا بالتمام . عندما انكّب في سن الشباب على ما كتبه غيره في الموضوع في سن الشيخوخة، وشحذ همته قبل أن ينبو حدها، وفعل مثل ما فعله عندما كتب أطروحة الدكتوراه عن الزواجات المختلطة، أي قام ببحث جامعي. ولكل من الكتابة بعد خبرة طويلة وللكتابة قبل هذه الخبرة وبأسلوب جامعي حسناته.

فالأولى تتكل بالأحرى على الذاكرة والمذاكرة. أي على ما جمع العقل من خبرة وعلى ما احتوت الملفات من دروس ومعلومات. والثانية تعتمد بالأحرى على إستعراض ما كتبه الدارسون حول الموضوع وتحليله ونقده وتنسيقه وتقديمه في حلة مختلفة وجديدة كما تلقاها الكاتب واستوعبها حسب رأيه ورؤيته. وهذه غالباً ما تكون كتابة شاملة وأكثر ديناميكية من سواها، وقيمتها متصلة بقدرة صاحبها على البحث الجامعي الصحيح .

وما نستطيع قوله بدون تردد أن مؤلف الكتاب الذي نقدمه لكم يتقيد كلياً بمنهج الأبحاث الجامعية الرصين ويضع بين يدي القارئ كتاباً موثوقاً به من حيث الأسلوب ومن حيث المحتوى والمضمون.

أولاً : من حيث الأسلوب:

عندما يأخذ القارئ الكتاب بين يديه ويقلّبه متنقلاً من صفحاته الأولى إلى الأخيرة على سبيل الاستطلاع يطمئّن من حيث المبدأ إلى صدوره عن دار المشرق الحريصة على مستواها والتي لا تطبع الا الأبحاث الرصينة المستوفية الشروط البحثية. ثم إذا إنتقل إلى أخر الكتاب ليطلع على مراجعه يكتشف مدى اتساعها في اللغات العربية والفرنسية والإنكلزية واللاتينية وبالايطالية. وهي مراجع قانونية بالدرجة الأولى وبعضها لاهوتي ومجمعي ومنها وثائق. وقد شغلت هذه المراجع ثماني عشرة صفحة. وليس المقصود من ذكرها أن الكاتب قد اضطلع عليها كلها، ولكن ذكرها يخدم القارئ الذي يحتاج أن يعرف حجم ما كتب الكتاب في الموضوع وأن يستعمل منها ما يلائمه. وبالإنتقال إلى متن الكتاب، وعندما نقلب صفحاته، نرى أن أي واحدة منها لا تخلو من استشهادات طويلة واردة بلغتها الأصلية مع ذكر مصدرها وقد تم الإستناد إليها في متن النص. وهذا يعني للقارئ أمرين على الأقل، الأول: أن الكاتب لا يفسر القانون تفسيراً شخصياً بل يطلعنا على ما قاله غيره من الشارحين وعلى إجتهاد المحاكم ويستنتج الموقف الذي يمليه عليه الحال أو يترك القارئ حيال النص وشرح الشارحين لكي يميل هو في بعض الأحيان إلى إستنتاج أو إلى آخر على مسؤليته. ويشكل هذا الاسلوب، ثانياً، دعوة للباحث لكي يعود الى المصدر اذا اراد ويدرسه في موقعه واطاره فقد يجد فيه غير ما وجده الكاتب، وهذا من مقتضى الشفافية العلمية.

ثانياً : من حيث المضمون:

قصد المؤلف أن يشرح عيوب الرضى الزواجي حسب تبويبها في الحق القانوني فمهّد إلى ذلك بفصلين عن الرضى بوجه العموم وعن الرضى الزواجي في القانون الجديد. ثم تناول عيوب الرضى التي تؤدي إلى إنعقاد الزواج باطلاً، واحداً بعد الأخر، من إنعدام القدرة الرضائية لأسباب ذات طابع نفسي، إلى الجهل إلى الغلط إلى الخداع، ثم التلجئة والشرط والاكراه او الخوف الشديد. وختم بالتوقف عند أسباب بطلان الزواج واسباب الطلاق أو فسخ الزواج عند الطوائف الاورثوذكسيه. وقد عولجت كل مادة من هذه المواد بشكل شامل، بحيث ان من يستعمل هذا الكتاب للاطلاع الى أبعاد القانون بشأن معين متعلق بالرضى يمكنه أن يكتفي به ولا يحتاج إلى إستعمال غيره .

فلو أراد محام أن يعرف مثلاً ما هو بحاجة إلى معرفته عن خير الزوجين وعن تأثير استبعاده عند التعاقد من قبل أحد الطرفين على صحة الزواج، وهذه تعابير جديدة بالمقارنة مع التعبير القديم المتمثل بكلمة تلجئة، لما وجد عند الشارحين السابقين لصدور الحق القانوني الجديد شيئاً يساعده على فهم ما يريد. لأن المعلومات التي يطلبها ما زالت منثورة في مقالات مختلفة وفي أحكام روتالية وفي بعض مذكرات المدّرسين الجامعيين . وقد قدم له هذا الكتاب خدمة كبيرة لأنه جمع المعلومات ونسّقها وبوّبها بشكل شامل وواضح يسهّل الرجوع إليها، فتناول مثلاً خير الزوجين بالعموم وفي تعاليم المجمع الفاتيكاني الثاني وفي الشرع الكاثوليكي الحالي وقسمه إلى ثلاثة أقسام هي خير البنين وخير الأمانة وخير المحافظة على عدم إنحلال الزواج. وفي شأن خير البنين مثلاً وتأثيره على صحة الزواج كتب ثمانية مقاطع تحت ثمانية عناوين هي خير البنين في الشرع السابق ثم في المجمع الفاتيكاني ثم في وثائق الكنيسة عامةً ثم في الشرع الكنسي الحالي. وانتقل إلى نماذج استبعاد خير البنين وتنظيم النسل والاجهاض والاخصاب واستبعاد التربية الدينية واستبعاد التربية الكاثوليكية في الزواجات المختلطة. هذا على سبيل المثال ويصح أيضاً وبالأحرى في شرح أسباب البطلان الجديدة والمعقدة مثل إنعدام القدرة لأسباب ذات طابع نفسي ومثل الغش والخداع أو أيضاً الجهل والطيش لحد عدم الشعور بالمسؤولية.

وما قلناه عن أسلوبه في شرح خيرالزوجين على المثال، نقول مثله وأكثر أحياناً عن كل سبب من أسباب عيوب الرضى الزواجي. عن الغش والخداع، وهذا سبب جديد أبرزته مجموعة القوانين الحالية ولم يكن موجوداً قبلها، وعن الجهل الذي وراء ارادة الزواج، وهو جديد أيضاً، وعن الغلط في الصفة، وقد تغّير مفهومه، وعن الشرط وهو مختلف عما كان عليه سابقاً، وعن أسباب بطلان الزواج لدواعي نفسية، وغير ذلك ... وكلها مفاهيم لم تحتوها مصّنفات القانونيين الكبار الذين يعوّل على شرحهم. ومن هنا قيمة الكتابة فيها ولو اعتمدت على أوراق المعلمين الجامعيين أو على مقالات دورية توجد هنا وهناك وعلى كتب تمّهد الطريق لأستقرار قانوني حول هذه المفاهيم يبّين مدى شمول القانون وحدود تطبيقه. ولا شك أن الأحكام الروتاليه هي من أهم المراجع وقد أحسن المؤلف بالرجوع إليها بتواتر وبترجمة مقاطع طويلة منها عن اللغة اللاتينية أو الايطالية حتى جاء هذا الكتاب، مع شرح الأصول الذي سبقه، بمثابة مرجعين لا يستطيع أن يتجاهلهما أي قانوني محب للإطلاع .

إن طالب القانون والمحامي ولا سيما المحامي الكنسي والقاضي وكاهن الرعية ومطران الأبرشية وسواهم من الراغبين في معرفة هذه المادة القانونية بتفاصيلها وتأثيرها على صحة الزواج، يجدون ضالتهم في هذا الكتاب الجامع الشامل وباللغة العربية، وكلنا نعرف أن شرح القانون الكنسي يطلب في الايطالية بالدرجة الاولى وباللغات الغربية الكبرى وهي غير متاحة كلها لكل قرائنا والمتعاطين منا بالقانون. وأن هؤلاء، وان عرفوا لغة أجنبية أو أكثر، لم يعرفوا دائما الصبرً على القراءة المتخصصة فيها بنفس طويل. وهم قد وجدوا في هذا الكتاب خلاصة ما يبتغون في متناول يدهم وفي لغتهم .

لذلك يستحق هذا المؤلف مع صاحبه امتنانهم وشكرهم وأنا التقي معهم في التعبير لعزيزنا الأب ريمون جرجس عن تقديرنا العميق لهمّته العالية وغيرته على الشأن القانوني والكنسي. وأتمنى له أن يواصل ما بدأ وأن يكافئه الله وأن يلقى كتابه الإقبال عليه الذي يستحقه. وشكراً .